سوار بْن عَبْد اللهِ

أعــلام القضــاء

obeikandl.com

obeikandl.com

سوار بن عبد الله بن قدامة

ابن عنزة بْن الحارث بْن عَمْرو بْن الحارث بْن مجفر بْن كعب بْن العنبر بْن عَمْرو بْن تميم.

الإمام العلامة القاضي، أبو عبد الله التميمي العنبري البصري، قاضي الرصافة من بغداد من بيت العلم والقضاء كان جده قاضي البصرة.

تتلمذ على عبد الوارث التنوري، ويزيد بن زريع، ومعتمر بن سليمان، وبشر بن المفضل، ويحيى بن سعيد القطان، وعدة.

ومن تلامذته أبو داود، والترمذي، والنسائي، وعبد الله بن أحمد، ويحيى بن صاعد، وعلي بن عبدالحميد الغضائري، وآخرون.

قال عنه النسائي: ثقة.

وكان من فحول الشعراء فصيحا مفوها، وكان وافر اللحية.

وسوار أول من ولى القضاء من قبل الخلفاء منذ لدن عُثْمَان بْن عفان إِلَى وقته.

وكان عفيفا عن أموال الخلفاء والأمراء علي قلة في يده فيروي عن ابنه عَبْدُ اللهِ بْن سوار القاضي؛ قال: قلت لأبي: يا أبت أينا أغنى نحن، أو أمير المؤمنين؛ قال: أمير المؤمنين أكثر مالاً ونحن أغنى أنفساً.

وكان سوار أول من تشدد في القضاء، وعظم أمره، واتخذ الأمناء، وأجرى عليهم الأرزاق، وأدخل الناس إلي القاضي بالقرعة، ومنع الوقوف، وأدخل على الأوصياء الأمناء، ودون الأحكام في السجلات، ودعا الناس بأسمائهم لم يكنهم، وكان حليماً بطيئ الغضب متحرياً للخير.

وقد كانت له مكانة كبيرة لدي العامة والخاصة وكان أَبُو جعفر المنصور قد عرفه قبل أن يوليه القضاء، وذلك أن المنصور هم أن يردم نهر ابن عُمَر، فوفد إليه وفد من أهل البصرة، فيهم سوار، وداود بْن أبي هند، وسعيد بْن أبي عَمْرويه، فكلموه فَقَالَ: سوار: يا أمير المؤمنين إني أحذرك أهل البصرة، فَقَالَ: يا سوار: أتخوفني بأهل البصرة؟ لهممت أن أوجه إليهم بقائد يجثم على أكبادهم، حتى يأتي على آخرهم؛ قال: يا أمير المؤمنين. لم أذهب حَيْثُ ذهبت، ولكن خوفتك دعوة اليتيم، والأرملة، ومن لا حيلة له فأحسن الرجوع وأضرب عما كان عزم عليه.وقال: اكتبوا عهده على القضاء[1].

و قَالَ: عَبْد اللهِ بْن سوار: اغتسل أبي غداة يوم النحر، وهو أمير قاض، ثم خرج فإذا نفر من بني تميم قد اجتمعوا ليركبوا معه فضربهم، ثم قال: لو أردت هَذَا الأمر لأمرت ابن دعلج فسار بالحربة بين يدي، فلم يركب معه إلا مُحَمَّد بْن قريش، والحكم، فلما كان بأعلى سكة بني مازن غمره البول، وكان به الحصاة، فدخل دار أبي عَمْرو بْن العلاء، فبال فيها ثم مضى إِلَى المصلى، وكان يأمر بفسطاط فيضرب هنالك، ويجعل فِيْهِ قمقم من ماء، فاغتسل، وصلى بالناس وانصرف، فاشتكى وكان النحر يوم السبت.توفى يوم السبت الذي يليه لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة، وهو أربع سبعون، ولم يستخلف على البصرة أحداً، وصلى عليه سعيد بْن دعلج، وكان سعيد بْن أسعد الأنصاري إمام المسجد، فلم يزل يصلي بالناس حتى جاء عهد عبيد الله بْن الْحَسَن على الصلاة والقضاء.

(١) أخبار القضاة، ٢ /٥٨.

و قَالَ: أَبُو صفية:

إن يك سوار مضى لسبيله ::: فقد كان أمنا للعراق من الذّعر
وإن يك سوار مضى لسبيله ::: فقد كان فكاك العناة من الأسر
وإن يك سوار مضى لسبيله ::: فقد كان كنزاً لليتامى من الفقر

و قَالَ: سلمة بْن عباس بْن نبيه:

جزى الله سوّار بأحسن سعيه ::: وثوّبه عنّا الجنان العواليا
خبرنا وجربنا الولاة فلم نجد ::: له مثل سوار من الناس واليا
أعف وأرضى سيرة في رعية ::: وأكرم معروفاً وأَحْمَد جاريا
وأجدر أن يرضى ويسمع مثنياً ::: عليه ولا يلفى له الدهر شاكيا
سقى قبره نوء الربيع فجاده ::: وأسقى لسقياه القبور الصواديا

و قَالَ: أبان بْن عَبْد الحميد اللاحقي:

نفّر نومي الخبر الساري ::: إذ صرّح النّعي بسوار
هد له ركني وكضّ الحشا ::: كأنما يشعل بالنار

وقال:

جاء البريد غداة السبت يخبرنا ::: أن الأمير عبيد الله قد ماتا [1]

وقال كلام ابن أبي مطيع: دخلت على سوار فجعلت أتوجع لما أرى منه، وكانت به زمانة في البول؛ قال: فَقَالَ لي:. يا سلام اذكر المطرحين في الطرق.

مواقف من حياته – رحمه الله –:

وبيده ريح الغمر

(١) التاريخ الصغير ٢ / ٣٨٣، تاريخ الطبري ٩ / ٢١٣، الجرح والتعديل ٤ / ٢٧١، تاريخ بغداد ٩ / ٢١٠، ٢١٢، اللباب ٢ / ٣٦٠، العبر ١ / ٤٤٤، تهذيب التهذيب ٤ / ٢٨٦، ٢٦٩، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٢١، خلاصة تذهيب الكمال: ١٥٩، شذرات الذهب ٢ / ١٠٨.

قال مالك بْن أنس: كتب أَبُو جعفر إِلَى قاضي له يُقَالُ لَهُ: سوار، وكان صالحاً يطعم الناس، فعمد إِلَى ذلك الذي أمره أن يطعم الناس ففرقه في القبائل، فقيل له: لو أطعمت الناس كان أجمل بك يا سيد الناس؛ فقال: لا أريد أن يذهب رجل إِلَى أهله وبيده ريح الغمر [١] ولم يطعم أهله شيئاً [٢].

يا أبا عَبْد الله يشهدون على ماذا؟

قال الأَصمعي: حَدَّثَنِيْ أبي أن عقبة بْن سلم الهنائي، عامل أَبُو جعفر على معونة البصرة، وذكر من عتوه واجترائه على الله وإقدامه على دماء المسلمين وأموالهم أمراً منكراً، وأنه أخذ رجلاً قدم بجوهرة من البحر، فأخذ منه الجوهرة، وحبسه في السجن فجاءت زوجته إِلَى سوار بْن عَبْد اللهِ، وهو قاضي أهل البصرة، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي؛ أن الأمير عقبة بْن سلم أخذ زوجي، وقدم بجوهرة فاغتصبه إياها، وحبسه في السجن، فبعث إليه سوار يخبره بما رفعت المرأة عليه عنده، فإن كان حقاً فأطلق الرجل ورد جوهرته، فلما أخبر عقبة ابن سلم برسالة سوار زجرهم، وشتم سواراً شتماً قبيحاً، فجاء الرسول إِلَى سوار فأخبره بجوابه، فوجه إليه سوار بأمنائه ليسمعوا منه قوله، وما يرد من الجواب، فأعوه فرد عليهم من الرد والشتم أمراً قبيحاً، فأتوه فأخبرهم فأرسل إليه سوار، فقال: والله لئن لم تطلق الرجل وترد عليه جوهرته لأتينك في ثياب بياض ماشياً، ولأدمرن عليك بغير سلاح ولا رجال، ولأقتلنك قتلة يتحدث الناس بها، فلما سمع من بحضرته رسالة سوار قالوا له: أيها الأمير إنه يفعل بك ما أرسل به إليك، وهو سوار قاضي أمير المؤمنين؛

(١) الغمر: الدسم واللحم والسمن.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /٥٨.

وهو تميم ومضر، وبلعنبر، وكلها مسلحة له، وأنت رجل من أهل اليمن، وليس بالبصرة من كبير أحد، فافعل أمرك به فوجه إليه بالرجل وبالجوهرة، ووجه إليه رجالاً يشهدون عليه بقبض الرجل والجوهرة، فصاح بهم سوار وقال: يا أبا عَبْد اللهِ يشهدون على ماذا؟ يطلق الرجل وترد عليه جوهرته [1].

إنما عدل سوار مصاف إليك

كتب أَبُو جعفر المنصور أمير المؤمنين إِلَى سوار في شيء كان عنده خلاف الحق فلم ينفذ سوار كتابه، وأمضى الحكم عليه، فاغتاظ أمير المؤمنين عليه وتوعده، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنما عدل سوار مصاف إليك وتزيين خلافتك، فأمسك.

أما أمرتك أن تقعد

عَن علي بْن مُحَمَّد بْن سليمان قال: حَدَّثَنِيْ أبي وعمي، قالا: كتب أَبُو جعفر إِلَى سوار أن يوليه صلاة البصرة، وشرطتها مع القضاء فحول إِلَى دار الامارة وجعل على شرطته شبيب بْن شيبة، وكان شبيب فصيحاً من أخطر الناس فولى تسعة أيام خرج فيها عبيد من عبيد أهل البصرة نحواً من عشرين عَبْداً، وركبوا من دواب مواليهم وأتوا حوض داود، ؟ وأجلبوا وأظهروا الخلع وإنما أرادوا أن يعفوا، فأرادوا أن يخلطوا طمعاً في ذلك، فجلس سوار وأرسل إِلَى وجوه أهل البصرة، فحضروه فأرسل إلينا، وإِلَى أهلها فحضرناه، وأمر الناس أن يجلسوا في المقصورة، وقَالَ: لشبيب: اجلس في المقصورة مع الناس في السلاح، ولا تحدثن شيئاً حتى يأتيك أمري، وبعث يسأل عَن العبيد فبينما نحن إِذ جاءه شبيب مسرعاً حتى وقف بين يديه..

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٦٠.

فقال: أيها الأمير جاء من يخبر أنهم بلغوا مكان كذا وكذا، وهو مرعوب: فَقَالَ: يا شبيب أما أمرتك أن تقعد، ولا تحدث شيئاً حتى يأتيك أمري ففعل ذلك ثلاثاً، فلما كان في الثالثة، وأمر من كان بحضرته في السلاح أن يمضوا إليهم فيقاتلوا من غير أن يسألهم عَن شيء، ولا شيئاً منهم، فمضوا ونحن جلوس فما شعرنا إلا بتسعة رؤوس، قد أتى بها من رءوس العبيد، وخبر أن باقيهم هرب فلم يكتب بذلك فتحاً، فبلغ ذلك المنصور، فاستحسنه من فعله ولم يلبث قبل ورود الخبر على المنصور أن أتاه العزل.

وفقك الله لما يحب يا أمير المؤمنين وأرشدك لما يرضى

أَخْبَرَ إبراهيم بْن أبي عثمان، عَن شيخ من بني تميم، يُقَالُ: له يحيى، قال: دخل سوار على المنصور؛ فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ قال: وعليك السلام ورحمة الله ادن أبا عَبْد اللهِ، فقال: يا أمير المؤمنين أدنو على ما مضى عليه الناس أو ما أحدثوا؟ قال: بل على ما مضى عليه الناس، فدنا فصافحه، ثم جلس، فقال: أبا عَبْد اللهِ قد عزمت على أن أدعو أهل البصرة بسجلاتهم، وأسرتهم فانظر فيها..

فقال: يا أمير المؤمنين أناشدك الله أن تعرض لأهل البصرة، فقال: أيا سوار أباهل البصرة تهددني؟ والله لهممت أن أوجه إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم ثم يضع فيهم السيف حتى يفنيهم، فقال: يا أمير المؤمنين ذهبت إِلَى غير ما ذهبت إليه، إنما كرهت أن تعرض للأرملة واليتيم والشيخ الفاني، والحدث الضعيف، فقال: يا أبا عَبْد اللهِ أنا للأرمل بعل، ولليتيم أب، وللشيخ أخ، وللضعيف عم، وإنما أريد أن أنظر في سجلاتهم وأسرتهم ليستخرج ما في أيدي الأغنياء مما أخذوه بقوتهم وجاههم من حقوق الضعفاء، والفقراء،

فقال: وفقك الله لما يحب يا أمير المؤمنين وأرشدك لما يرضى.

أتزعمون أن هَذَا يحابى؟

قال النضر بْن عُمَر: دخل سوار على أبي جعفر المنصور، فجلس ولم يقبل يده، وعطس أَبُو جعفر فلم يحمد الله، فلم يشمته، ثم عطس فحمد الله فشمته، ثم نهض سوار فأتبعه أَبُو جعفر بصره فقال: أتزعمون أن هَذَا يحابى؟ والله ما حابى في عطسة.

أَخْبَرَنَا أَبُو سعيد الحارثي عَبْد الرحمن بْن مُحَمَّد؛ قال: حَدَّثَنَا أبي، قال: بشر بْن المفضل، قال: حَدَّثَنَا سوار بْن عَبْد اللهِ، قال: ما تركت في نفسي شيئاً إلا كلمت به أبا جعفر، قال: قلت له: يا أمير المؤمنين إن الْحَسَن كان يقول: إن تصديق القول العمل، فمن صدق عمله قوله فذاك، ومن لا فقد هلك أو كما قَالَ: الْحَسَن؛ فَقَالَ: أَبُو جعفر؛ صدق الْحَسَن [1].

هَذَا عملك

واستعدى نبطي على زينب بنت سليمان، فأرسل سوار إليها يعلمها لتحضر، فامتنعت فكتب إِلَى الهيثم بْن معاوية فأمره بإحضارها، فكتب إليه الهيثم: إنها بنت سليمان بْن علي، فكتب إليه سوار: فهي أولى من أعطى الحق من نفسه إذ كانت بهَذَا الموضع السني، فلما ولي إسماعيل على البصرة أتاه سوار مسلماً، فعظمه إسماعيل، ورفعه في المجلس، فأقبل جعفر بْن سليمان على إسماعيل، فَقَالَ: لابن التركية تعظم وترفع، وقد أراد إثبات؟ أختك على كذا وكذا وآذى سواراً، فأقبل سوار على إسماعيل؛ فقال: أصلح الله الأمير أنه ذكر أمي وقال: ابن التركية، وإنا معشر العرب قدمنا

(١) أخبار القضاة، ٢/ ٦١ - ٦١.

من هذه البادية، وفي ألواننا سواد وفي أبداننا نحف وقلة، فنظرنا إِلَى هذه الأعاجم فإذا هي أمد منا أجساماً، وأشد منا بياضاً وأظهر منا حالاً فرغبنا فيهم، فاتخذنا منهم السندية والهندية، والخراسانية، والبربرية، فولدن فينا فمددن من أجسامنا وبيضن من ألواننا وحسن من وجوهنا، ثم نهض فَقَالَ: إسماعيل لجعفر: هَذَا عملك أنت أسمعتني، قد والله ذكر أمي وأم أبيك وأم أمير المؤمنين [1].

جباية السوق

أَخْبَرَ أَبُو خالد المهلبي عَن أبيه، قال: بعث عقبة بْن سلم إِلَى سوار بْن عَبْد اللهِ برزقه في كيس مكتوب عليه، جباية السوق فرده، فَقَالَ: عقبة: لم رده؟ قيل لأن عليه جباية السوق، فقال: يا غلام هات كيساً لأكتب عليه، فأتى به فقلبت الدراهم فِيْهِ فبعث بها إِلَى سوار فقبل.

كان مُحَمَّد بْن سيرين يأمر مثلك أن يهرب

قال مثنى بْن معاذ بْن معاذ: شهدت سواراً، تقدمت إليه امرأة فقالت: إن زوجي يطلقني في السر ويجحدني في العلانية، فَقَالَ لَهَا: ألك بينة؟ قالت: لا؟ قال: فاستحلفه، ثم قَالَ: لها: ليس لك بينة، وقد حلف؛ كان مُحَمَّد بْن سيرين يأمر مثلك أن يهرب [2].

وفي استقامة أنت ذهبت

عَن سليمان بْن منصور الخزاعي، قال: شهد عند سوار رجل، فَقَالَ: المشهود عليه إنه محدود، فَقَالَ الشاهد: إنما حدني عباد بْن منصور على الفتنة، فَقَالَ لَهُ سوار: وفي إستقامة أنت ذهبت، وأبطل

(١) أخبار القضاة، ٢ /٦٢.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /٦٣.

شهادته. وكان عباد قاضياً لإبراهيم بْن عَبْد اللهِ بْن حسن.

- العرب تجتاز بالإعراب اجتيازاً.

- كلام القلب يقرع القلب، وكلام اللسان يمر على القلب صفحاً[١].

لو رأيت الملائكة لسفلت عَن ذلك

عَن الأصمعي؛ قال: أَخْبَرَنِي شيخ مسن، قال: قَالَ: أَبُو عَمْرو بْن العلا: شهدت بشهادة عند سوار، فقلت: لو رأيت الملائكة لشهدت بها، فَقَالَ: سوار: لو رأيت الملائكة لسفلت عَن ذلك [٢].

ما كنت قائلاً؟

قال سوار: بلغني أن ميمون بْن مهران كان جالساً، وعنده رجل من قرى أهل الشام، فقال: إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، فَقَالَ: الشامي: لا، الصدق في كل موطن أحب؛ قَالَ: ميمون: أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف ودخل الدار، فانتهى إليك، فقال: أنت الرجل! ما كنت قائلاً؟ قَالَ: كنت أقول: لا قال: فذاك [٣].

لئن عاد إِلَى مثلها ليجدني أغضب لدين الله

عَن مُحَمَّد بْن سلام قال: كان حماد بْن موسى الغالب على أمر مُحَمَّد بن سليمان، فحبس سوار رجلاً فبعث حماد، فأخرجه من الحبس، فركب سوار حتى دخل على مُحَمَّد بْن سليمان، وهو قاعد للناس، والناس على مراتبهم، فجلس حَيْثُ يراه مُحَمَّد، ثم دعا بقائد،

(١) أخبار القضاة، ٢ /٦٤.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /٦٤.
(٣) أخبار القضاة، ٢ /٦٦.

فقال: أسامع أنت مطيع؟ قال: نعم، قال: اجلس ههنا فأقعده عَن يمينه، ثم دعا آخر ففعل ذلك بجماعة من القواد، قال: انطلقوا إِلَى حماد بْن موسى، فضعوه في الحرس، فنظروا إِلَى مُحَمَّد، فأشار إليهم أن افعلوا ما يأمركم، فانطلقوا فوضعوا حماد بْن موسى في الحبس، فانصرف سوار فلما كان العشى أراد مُحَمَّد بْن سليمان الركوب إِلَى سوار، فبلغه فقال: أنا أحق بالركوب إِلَى الأمير فركب إليه، فقال: يا أبا عَبْد اللهِ كنت على المجيئ إليك، فقال: أنا أحق أن أركب إليك، فقال: قد بلغني ما صنع هَذَا الجاهل، فأحب أن تهب له ذنبه، قال: قد فعلت أن رد الرجل إِلَى الحبس، قال: يرده بالصغار والقماء، فوجه إِلَى الرجل فحبسه وأخرج حماداً، وكتب بذلك إِلَى المهدي، فكتب إِلَى سوار يخبره بالخبر، ويحمده على ما صنع، وكتب إِلَى مُحَمَّد بْن سليمان بكلام غليظ يذكر فِيْهِ حماداً، ويقول: الرافضي الرافضي، والله لولا أن الوعيد أمام العقوبة ما أدبته إلا بالسيف ليكون عظة لغيره، ونكالاً، يفتات على قاضي المسلمين في رأيه، ويركب هواه لموضعه منك، ويعرض بالأحكام استهانة بأمر الله وإقداماً على أمير المؤمنين، وما قَالَ: إلا بك، ولما أرخيت من رسنه، وبالله لئن عاد إِلَى مثلها ليجدني أغضب لدين الله، وانتقم لأولياء الله من أعدائه، والسلام[1].

قم يا رافضي

قال معاذ بْن سعيد الحصري: شهد السيد عند سوار بشهادة، فَقَالَ لَهُ: ألست إسماعيل بْن مُحَمَّد الذي يعرف بالسيد؟ قال: نعم قال: قم يا رافضي، قال السيد: والله ما شهدت إلا بحق، فأمر بوطئ عنقه،

(١) أخبار القضاة، ٢ /٦٨.

فكتب رقعة فيها هجاء سوار فطرحها في الرقاع، فأخذها سوار، فلما قرأها خرج إِلَى أبي جعفر، وكان قد نزل الجسر الأكبر وسبقه السيد، فشكا إليه سواراً وأنشد:

يا أمين الله يا منص ::: ور يا خير الولاة
إن سوار بْن عَبْد الله ::: من شر القضاة
نعثلي جملي ::: لكم غير موالي
جده سارق عتر ::: فجرة من فجرات
والذي كان ينادي ::: من وراء الحجرات
يا هناه اخرج إلينا ::: إننا أهل هنات
فاكفنيه لا كفاه الله ::: شر الطارقات
سن فينا سنناً ::: كانت مواريث الطغاة
أطعم أموال اليتامى ::: قومه والصدقات

وقال:

قل للامام الذي ينجي بطاعته ::: يوم القيامة من بحبوحة النار
لا تستعين جزاك الله صالحة ::: يا خير من دبّ في حكم بسوار
لا تستعن بخبيث الرأي ذي صلف ::: جم العيوب عظيم الكبر جبار
يضحى الخصوم لديه من تجبره ::: ما يرفعون إليه طرف أبصار
زهواً وكبراً ولولا ما رفعت له ::: من ضبعه كان عين الجائع العاري
و قَالَ: جد له أني أرى رجلاً ::: فرداً وحيداً ويعدو بين أطمار
قالوا له فيما يدعى رجل ::: يأتيه من ربه وحي بأخبار
إنا لنحسب شعراً ما يجيء به ::: وقول كاهنة أو قول سحار
من أهل مكة خلته عشيرته ::: عنها فآوى إِلَى خزر وأنصار
له حلوب فمنها جل عيشته ::: فَقَالَ: أني لكم في ذبحها ساري
فاحتال كفواً عليه من تجبره ::: واستق عتر رسول الخالق الباري
واستل ملحفة من جوف حجرته ::: فازداد خبثاً ووقراً بعد أوقار

فضحك أَبُو جعفر وقال: بعثتك قاضياً وأصلح بينهما، وقال: امتدحه كما هجوته فقال:

إني امرؤ من حمير أسرتي ::: بَيْتُ تحوي سروها حمير
اليت لا أمدح ذا نائل ::: له شباب وله مفخر
إلا من الغر بني هاشم ::: إن لهم عندي يداً تكثر
إن لهم عندي يداً شكرها ::: حق وإن أنكرها منكر
يا أَحْمَد الخير الذي إنما ::: كان علينا نعمة تنشر
حمزة والطيار في جنة ::: فحيثما ما شاء رعى جعفر
منهم وهادينا الأمام الذي ::: كان على أعدائه ينصر
لما دجا الدين ورق الهدى ::: وجار أهل الأرض واستكبروا
ذاك علي بْن أبي طالب ::: ذاك الذي دانت له خيبر
دانت وما دانت له عنوة ::: حتى تدهدى عرشها الأكبر
ويوم سلع إذ أتى عانياً ::: عَمْرو بْن عَبْد مصلياً يخطر
يخطر بالسيف مدلاً كما ::: يخطر فحل الصّرمة الدّوسر
إذ جلل السيف على رأسه ::: أبيض عضباً حده مبتر
فخر كالجذع وأوداجه ::: يبعث منها حلب أحمر
يبعث من قان دماً معجلاً ::: كأنما قاطره العصفر

فَقَالَ: أَبُو جعفر: فامتدحني أنا فقال:

أنا الشاعر السيد الحميري ::: أقد القوافي قداً سويا
أقول فأحسن وصف النشيد ::: ولا أنحل المدح إلا عليا[1]

تتجرأ تشهد عندي وأنا أعرف عداوتك السلف؟

حَدَّثَنَا إسحاق بْن مُحَمَّد النخعي؛ قال: حَدَّثَنَا هاشم بْن صيفي أَبُو زيد الأسدي، عَن الهيثم بْن واقد، قال: شهد السيد عند سوار بشهادة؟

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧١.

فَقَالَ لَهُ سوار: تتجرأ تشهد عندي وأنا أعرف عداوتك السلف؟ فَقَالَ: السيد.

أعاذني الله من ذلك وإنما هو شيء لزمني، ثم نهض فقال:

وما تغنى الشهادة عند وغد ::: جهول بالحكومة والخصام
له بالمصر أعوام تباعاً ::: تمام العشر أو فوق التمام
وما أجدى على أحد بخير ::: ولا فصل القضاء بالانفصام
إذا حضر الخصوم يغض طرفاً ::: وشنج وجهه فعل اللئام
سموع للخصوم إذَا لقوه ::: ولا يقضى بحق في الذمام
جهول بالقضاء حليف بول ::: وكور للأثام وللحرام
إذا لم يقض بين الخصم يوماً ::: وبين مخاصميه من الأنام
فلم يأخذ عطا المنصور فِيْهِ ::: عطاء من عطاياه العظام
وأجزل في الذي يقضى على ما ::: فعلت الضرب بالسيف الحسام[1]

عَن إسماعيل بن الساحر قال: لما مات سوار دفن في موضع كان كنيفاً مرة، فعفا، فلما حفروا طهروا الكنيف تبادروا به فدفنوه لعلة كانت به، ومات بقربه عباد بْن حبيب المهلب، فهجاه السيد، ودفع القصيدة إِلَى نوائح الأزد فحفظتها النوائح فكانوا إِذَا رثوا عباد بْن حبيب أنشدوا هجاء سوار وهي:

عدي بسوار في أخلاق أطمار ::: من داره ظاعناً عنها إِلَى النار
يا شرحى ثوى في الأرض لعلمه ::: ممن براه الإله الخالق الباري
لا قدس الله روحاً أنت هيكله ::: وهل تقدس رجس بين كفار
توى ببرهوت في بلهوت محتبساً ::: ملعناً بين أطفاش وفجار
أبان فيك إله الناس معجبة ::: لما قضى ربنا فيكم بمقدار
في جرم جسمك إِذ دليت في رحم ::: في بقعة بين أحشاش وأقذار

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٢.

في مخرج وكنيف قد أعد لكم ::: فِيْهِ الثواء باذلال وإصغار
تشنا علياً أمير المؤمنين ولا ::: تقول فِيْهِ بقول الصادق الباري
يوم الغدير ووكل الناس قد حضروا ::: من كنت مولاه في سر وإجهار
هَذَا أخي ووصيي في الأمور ومن ::: يقوم فيكم مقامي عند تذكاري
هَذَا وليي فوالوه على ثبت ::: لا تفشلوا عَن مواعيظي وتسطاري
يا رب عاد الذي عاداه من بشر ::: واركسه في دركات الخزي والعار
فكنت أنت ومن واليت من أمم ::: في خلع ما قَالَ: من نقض وادبار
فالله يخزيك يا سوار مخزية ::: في جاحم النار من غسلينها الجاري
في كل من حاد عَن دين المليك ومن ::: نعا لأَحْمَد الظهر من حي وأنشار
مع ما خبثت بجمع المسلمين وما ::: منعت من حقهم في حكمك الساري
حكم لَعَمْرُك لا يرضاه خالقنا ::: ولا الرسول لدى النزاع والجاري
فاذهب عليك من الرحمن بهلته ::: لما كساك سواد الوجه كالقار
لنعمت العترة الصيد المطهرة ::: خير البرية أطهاراً لأطهار

هَذَا يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه

قال الحارث بْن عَبْد اللهِ الربعي: كنت جالساً في مجلس للمنصور وهو بالحبس الأكبر، وسوار عنده، والسيد ينشده:

إن الإله الذي لا شيء يشبهه ::: آتاكم الملك للدنيا وللدين
آتاكم الله ملكاً لا زوال له ::: حتى يقاد إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذ برمته ::: وصاحب الترك محبوس على هون

حتى أتى على القصيده والمنصور مسرور، فَقَالَ: سوار: هَذَا يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله أن القوم الذين يدين بحبهم غيركم، وأنه لينطوي على عداوتكم فَقَالَ: السيد: والله إنه لكاذب، وأني في مدحك لصادق، ولكنه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإن انقطاعي ومودتي لكم أهل البيت وخلافي لرأي أَبُويه ومعاندتي لهما لم تساير من أنصرف عنكم، وإن هَذَا وقومه لأعداؤكم في

الجاهلية والاسلام، وقد أنزل الله عز وجل على نبيه عليه السلام في أهل بيته: { إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [الحجرات: ٤]، فَقَالَ: المنصور: صدقت، فَقَالَ: سوار: إنه يقول بالرجعة فقال: أما قوله: إنه يقول بالرجعة فإن الله عز وجل يقول:{رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ} [غافر: ١١]، وقال:{فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} [البقرة: ٢٥٩]، وقال:{فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ } [البقرة: ٢٤٣]، إنما قلت مثل هَذَا، ولكنه يرجع بعد الموت كلباً، أو قرداً، أو خنزيراً، أو ذرة لأنه متجبر، وقد قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: يحشر المتكبرون في صورة الذر يوم القيامة وفي حديث آخر في صورة القردة والخنازير يغشاهم الذل من كل مكان ثم قال:

جاثيت سواراً أبا شملة ::: عند الإمام الحاكم العادل
فَقَالَ: قولاً خطل كله ::: عند الورى الحافل والشاغل
ما دب عما قلت من وصمة ::: في أهله بل لج في الباطل
وبان للمنصور صدقي حكماً ::: بان صدق الأبولي الجاهل
بغض ذا العرش ومن يصطفى ::: من غله بالبين الفاصل
ويعتدي في الحكم في معشر ::: أدوا حقوق الرسل للراسل
فتبر الله من أوثقه ::: فصار مثل الهائم الهامل

وأنشدني إسحاق بْن مُحَمَّد، عَن معاذ بْن سعد في سوار:

أَبُوك ابن سارق عتر النبي ::: وأنت ابن بنت أبي جحدر
ونحن على رغمك الرافضون ::: لأهل الضلالة والمنكر[1]

لا تبدأه حتى لا يهجوك

عَن إسماعيل الساحر، قَالَ لي: السيد بْن مُحَمَّد، لما بلغني خبر سوار وأنه تكلم في: قلت:

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٤.

قـــولاً لســـوار أخـــي عضـــلة ::: يـــا ريســـاً في البـــول والعـــار
ما قلت فيما قلـــت مـــن مثلـــب ::: حـــتى روى في جمـــع أخبـــار
وأنـــت يـــا ســـوار رأس لهـــم ::: في كـــل خـــزي خـــزي ســـوار
تعيـــب مـــن آزره أَحْمَـــد ::: مـــن بـــين أصـــحاب وأحـــوار

فكتب سوار بهَذَا الشعر إِلَى أبي جعفر، وهو على دجلة البصرة في موضع الجسر الأكبر، فأحضرت فسألني،، فقلت يا أمير المؤمنين: البادي أظلم، يكف عني حتى أكف عنه؛ فكتب إليه أَبُو جعفر فتكلم بكلام فِيْهِ نصفة؛ لا تبدأه حتى لا يهجوك.

يدفع عنه لمثله إِلَى بني هاشم

عَن الحارث بْن صفوان قال: قَالَ: السيد: غاظ سوار بْن عَبْد اللهِ جودة شعرى في قصيدة قلتها فقال: اطلبوا عليه شهادة بغير هَذَا لجناية في مال، أو دفع حق؛ فإني رأيت هَذَا وأشار إِلَى أبي جعفر يدفع عنه لمثله إِلَى بني هاشم: فأنشدت أقول:

يـــا لقـــوم لشـــوهة الأشـــرار ::: ولأمـــر بـــداه مـــن ســـوار
قاضي العدل في الحساب لدى الن ::: اس وتقـــويم حكمـــة الأثـــار
جار في حكمهـــم علـــى جهـــارا ::: في شـــهود تعمـــدوا أوزاري
حـــاد عَـــن دينـــه ليبلـــغ مـــنى ::: لـــده واللّـــه لي خـــير جـــار
قال: يا قومي فاطلبوا لي شـــهوداً ::: يشهدون الغـــداة عنـــدي بعـــار
فاقدمـــه للحكومـــة اقطعـــ ::: ـه فيـــا لـــذتي ظفـــرت بثـــاري
هو أهل السراق بـــالأب والجـــد ::: وأعمـــام شـــوهة أشـــرار
ســـرقوا ملحـــف الـــنبي وعـــتراً ::: يحتلبـــها للضـــيف والـــزوار
كيـــف لم يـــردد المظـــالم فيمـــا ::: قـــد جـــنى أولـــوه في الأدهـــار
وهو مما جنـــوه في غايـــة العلـــم ::: وحســـب العرفـــان والتـــذكار
جـــار فـــيهم ولايـــة الله بـــدأ ::: وانـــثنى يعتـــدي بحـــد الكبـــار

يعتـــدى طالبـــاً علـــى لأني ::: حطت آل النبي بالمدح سار
فتوقفـــت ثم قلـــت إلهـــي ::: والعـــلا والسّـــنا والإكبـــار
وعلـــي وأَحْمَـــد أوليـــاني ::: وبنـــو أَحْمَـــد خيـــار الجـــار
وبهم اعتصمت من شـــر ســـوار ::: أخـــي الفاحشـــات والأعـــوار[1]

اقسم بيننا أموالنا

عَن أَحْمَد بْن معاوية، قال: حَدَّثَنِيْ بعض المحدثين، قال: مات هميم بْن عياض بْن سعد العنبري، وترك ثلاث بنين؛ من أم ولد له صقلابية [2]، وابناً من بنت عم له، وابنة وكان ابن المهيرة [3] يسمى عياضاً، وكان أكبرهم فقالوا له: اقسم بيننا أموالنا فَقَالَ لي: نصيبان، ولكم نصيب، فأَبَوا وأتوا سواراً فهو أول يوم جلس فِيْهِ للقضاء، فَقَالَ: أكبر الثلاثة وهو جهور:

قـــولاً لســـوار بـــني عنـــبر ::: أنت امرؤ تقضي بفصـــل القضـــا
مـــات أَبُونـــا ولـــه لهـــوة ::: مـــن نعـــم دثـــر كـــبير وشـــا
فاقســـم هـــداك الله ميراثنـــا ::: إن عياضـــاً فـــاجر ذوعنـــا
يظلمنـــا ميراثنـــا جهـــده ::: وأنـــت قاضـــينا فمـــاذا تـــرى

فَقَالَ لَهُ سوار: كم ترك أَبُوك من الولد؟ قال: ثلاثة لأم ولد، وواحداً لمهيرة قال: فهل من وارث غيركم؟ قال: لا، إلا ابنة له من أمة سوداء؛ فَقَالَ: سوار: القسم بينكم سواء؛ للرجل مثل حظ الأنثى مرتين، فَقَالَ: عياض: بالله ما رأيت كاليوم قط يأخذ بنو الأمة كما آخذ؛ قال: بذلك نزل كتاب الله، قال: وتأخذ بنت السوداء كما آخذ؟ فقال:

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٥.
(٢) الصقالبة جنس من البشر يسكنون أواسط القوقاز وأوروبا ومنهم كان يجلب العرب الرقيق ويستكثرون.
(٣) المَهِيرَةُ: الحُرّةُ والمَهائِرُ الحرائرُ وهي ضِدُّ السَّرائرِ.

نبئت سواراً قضى أنشى ::: وجهوراً فيما ورثنا سوا
فقلت مهلاً ليس ذا هكذا ::: أخطأت يا سوار فهم القضا
سيان حر أمه حرة ::: وقينة أمهم ملأما
أبي أبوهم وأبُوهم أبي ::: وخالهم أحمر عَبْد العصا
نحن لا ميز فقل بيننا ::: مقالة يرضى بها ذو التقى
لا تجعلن من أمّه حرة ::: وخاله أبيض رحب الفنا
كأحمر الخال قليل الجدا ::: سقلالب تنميه إذَا ما انتمى
أخوالهم صفر لهم أوجهه ::: يكرههم الله وأهل السما

فَقَالَ لَهُ سوار: لم بنياه ولكن سمعته؛ انهض يا عياض، فكتاب الله قضى عليك؛ قال: والله لا أرضى بما تقول، وما في كتاب الله أن أجعل سواء وبنى الحمراء؛ قال: إياك إن تعدو ما آمرك به، فأجعل السجن لك داراً؛ قال: والله ما رأيت قاضياً أشد تعصباً منك للحمرة والشقرة؛ فَقَالَ لَهُ جهور: ويلك يا عياض لو كان ذا تعصباً لم تعط بنت نسحة شيئاً يعني أختهم؛ قال: والله لا نعطيها شيئاً ولو جهد جهداً، وما نرى ذلك لها، فَقَالَ: جهور: بلى والله أليس كذلك قلت يا أخا بني العنبر؟ قال: سوار: بلى والله قاله، ثم أمر بعض إخوانه فقسم بينهم فَقَالَ: عياض:

قضيت بغير الحق سوار بيننا ::: وسويت بين الزّنج والشّقر والعرب
نسيت قضاء الناس حين وليته ::: وما شيت نصّاً صيّر الرأس كالذنب
أسأت أيا سوّار صيرت ماجداً ::: كريم المحيا فاضل الرأي والأدب
وأشقر صفياناً وسوداء جعدة ::: محددة الأنياب مأفونة الحسب
فوالله ما وفقت للحق في الذي ::: قضيت ولكن جيت والله بالكذب[1]

ويلك! البيت البيت

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٦.

عَن مُحَمَّد بْن صالح العدوي؛ قال: حَدَّثَنِيْ شيخ من أهل البصرة، كان يجالس سوار بْن عَبْد اللهِ كثيراً، قال: كان رجل من هو، يُقَالُ: له جليلان، وكان سوار القاضي قد صلى المغرب في مسجده، فهو يريد أن يصير إِلَى منزله، وقد جاءت السماء بالمطر، وبينه وبين منزله غدير ماء، فهو قائم على درجة المسجد يروى كيف يعبر، وأقبل جليلان وهو سكران، فلما نظر إليه قال: القاضي؟ فداك أبي، أنت بعد، إني أراك واقفاً تريد العبور، امرأته طالق ثلاثاً، إن جزت إِلَى الدار إلا وأنت على ظهري، فَقَالَ لَهُ: مالك قبحك الله ثم أقبل عليه، فقال: أفرق بينه وبين أهله؟ لا والله ما أرى ذلك تعال حتى أصعد فوق ظهرك؛ قال: فحبا، وحمله فوق ظهره، وأقبل يغوص الماء وترك طريق منزله، فقال: ويحك أين تريد؟ قَالَ: أجنبك قليلاً أصلحك الله، قال: لا حاجة لي في هَذَا، ويلك! البيت البيت، قَالَ: الشيخ: فلو رأيتنا نناشده الله، ويقول القاضي حتى أدخله منزله.

زلة ولعلها امرأته

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن سوار، قال: كان أبي يغدو من داره، فيصلي الغداة بأهل المسجد الجامع، ثم يقيم في دار الإمارة، ويصلي الصلوات بالناس، حتى إِذَا صلى العتمة جاء إِلَى منزله، فبات فِيْهِ ثم يغدو بغلس [1]، قال: فغدا يوماً ومعه خادمه حيان، فلما كان في زقاق الأزرق، إِذَا هو برجل قد تغشى امرأة، فلما غشيها وثب الرجل فسعى، وسعى حيان في أثره ليأخذه، فصاح به أبي فرده، وقال: مالك؟ زلة ولعلها امرأته، لعلها أمة لقوم، قد شغلوها عنه فهو لا يقدر عليها، إلا في هَذَا الوقت.

(١) الغَلَسُ: ظَلام آخِرِ اللَّيْل. وغَلَّسْنا: سِرْنا بغَلَسٍ.

فلم يرض حتى عفا عنه

عَن عامر بْن صالح، قال: تقدم إِلَى سوار إعرابي تزوج امرأة من بني العنبر، وفرض لها سوار عليه نفقة، فقال:

جزى الله سوار النِّسَاء ملامة ::: كما منع الفتيان خير الحلائل
تقول لي الفيجاء عجل بكاره ::: مطينة مما تثير الغرابل
يشرط عنها ملحفاً وقطيفة ::: وجزعاً جديداً للحصان المراسل
ألا ليت سواراً بأقصى مدينة ::: من الصين يرعى كل سكاء حافل

وحكم سوار على أعرابي بحكم فجاءه يوماً وهو جالس فقال:

رأيت رؤيا ثم عبرتها ::: وكنت للأحلام عبارا
رأيتني أحبق في نومتي ::: ضبا فكان الضب سوارا

ثم انقض عليه ليخنقه، فأخذ الأعرابي، فلم يهجه سوار وبلغ خبره المغيرة ابن سُفْيَان بْن معاوية المهلبي، وهو يومئذ خليفة أبيه على البصرة، فأمر بالأعرابي فأتى به ليؤدبه، وبلغ سواراً فأتاه بنفسه، فسأله أن يصفح عنه؛ فقال: هَذَا شديد على الأمر أن يكون له عاقبة أكرهها، فلم يرض حتى عفا عنه وسلم إليه الأعرابي، فأطلقه (١).

مجانين أنتم؟

عَن أبي عدي النمري، قال: رأينا هلال شوال، فأتينا سواراً لنشهد عنده؛ فَقَالَ: لنا حاجبه: مجانين أنتم؟ الأمين لم يختضب بعد ولم يتهيأ، والله لئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين مائتين، فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر (١).

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٩.
(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ١٠٦.

فمن شربه؟

قال الحر بْن مالك بْن الخطاب: دخلت على سوار، وهو موجوع من بطنه من طعام أكله، فقلت له: عندي نبيذ بسر قد اشتد، فقال: إيتني منه بقدح، فأتيته فقال: ضعه، واخرج إِلَى الحكم، فقل له: كذا وكذا، فخرجت ثم دخلت والقدح فارغ، فقلت له: أتيتك بقدح، فبعثتني في حاجة ثم رجعت، والقدح فارغ، وليس في البيت غيرك فمن شربه؟ فقال: أما أنت فلا تشهد على أنك رأيتني شربته.

و كان سوار لا يجيز شهادة من يشرب النبيذ، وأنشد لبعضهم:

لا تشهدن على صك إِذَا حضروا ::: من الشهادة إِلا رهط عمار
ويتركون رجالاً في مجالسهم ::: ذوي أناة وأحلام وأخطار
أما النبيذ فإني لست تاركه ::: ولا شهادة لي في حكم سوار

ما أشد ما طعن عليه

وزعم عَبْد الواحد بْن غياث، عَن عَمْرو بْن حيان؛ قال: صلينا المغرب في مسجد بلعنبر، فإذا بغل سوار، وحمار قد جاء به سوار معه؛ فقال: ادع لي معاذ بْن معاذ، فدعوته فركب الحمار، ثم انطلق معه؛ قال: فحَدَّثَنِيْ معاذ بعده؛ قال: انطلقنا ناحية الأزد، فأظلمنا قبل أن نبلغ حَيْثُ أراد.

ثم بلغنا إِلَى باب فأشار إليه، فَقَالَ: ادن، فسل عَن فلان، فإذا خرج إليك، فقل: ههنا رجل يريدك؛ قال: فخرج الرجل فَقَالَ لَهُ: ما تقول في فلان؟ قال: لا أعلم إِلا خيراً فإني به لعالم فانصرف سوار، ثم أتى باباً آخر، ففعل برجل مثل ذلك، ثم قَالَ لَهُ: انظر فقد اختلف علينا فيه، ففكر ثم قال: ما أعلم إِلا خيراً، فانصرفنا فلم نتباعد حتى رجع، فناداني يا صاحب الحمار، فالتفت فإذا الرجل؛ فقلت لسوار؛

فوقف فقال: إني فكرت فلم أعلم شيئاً إلا أن له أرضاً في الصدقة، وأرضاً في الخراج، فربما حول ممر أرضه التي في الخراج، إلَى أرض الصدقة فَقَالَ لي: سوار: ما أشد ما طعن عليه [1].

يا فتى أتعييني

قال سوار بْن عَبْد اللهِ بن سوار القاضي: حَدَّثَنِيْ أبي؛ قال: جاء رجل إلَى سوار الأكبر بالبصرة؛ فقال: رجل جاء من خراسان يسألك عَن مسألة ليس من حلال ولا حرام، فأذن له فدخل فقال: اختلفنا في المروءة، ما هي، ونحن بخراسان، فقالوا لي: أنت تريد الحج فاجعل طريقك بالبصرة، وإيت سوار بْن عَبْد اللهِ، فاسأله، فَقَالَ لَهُ سوار بْن عَبْد اللهِ: قد سألت، فإذا أردت الخروج فأتني، فأتاه حين أراد الخروج، وقَالَ: له. يا فتى أتعييني؛ المروءة إنصافك الناس من نفسك.

يا سوار ما تقول في هَذَا؟

عَن المدائني قال: شهد سوار عند بلال بْن أبي بردة، ومعه رجل آخر، فَقَالَ: بلال: يا سوار ما تقول في هَذَا؟ قال: إنما جئت شاهداً، ولم أجيء مزكياً، قال: أفحضر معك هذه الشهادة؟ قال: نعم فأجاز شهادته.

قال معاذ بْن معاذ: خاصم عَمْرو بْن أبي زائدة إلَى سوار بالبصرة، وكان له شاهد واحد، فأبى سوار أن يقضي بشاهد ويمين، فغضب عَمْرو وهجاه فقال:

سفّهني ولم أكن سفيهاً ::: ولا لقوم سفهوا شبيها
لو كان هَذَا قاضياً فكيها ::: لكان مثلي عنده وجيها

(١) أخبار القضاة، ٢ /٨٣.

فكشفت عَن وجهها

و عَن عفان، قال: تقدمت امرأة إِلَى سوار، فجعل يقول: لها غطى يدك، فتغطى، ثم يقول أيضاً: غطى، فيبدو أطراف أطراف أصابعها، فأكثر فقالت: إنك أكثرت، قَالَ الله عز وجل:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} [النور: ٣١]، وهو الوجه والكف، فكشفت عَن وجهها، وحسرت عَن كفها [١].

إنه دعاء بالأسحار.

أمر المنصور أبو جعفر بأشخاص سوار بن عبد الله القاضي إليه من البصرة بعد قتل إبراهيم ابن عبد الله بن حسن، فلما قدم عليه قال له: يا سوار! ضربني أهل البصرة بمائة ألف سيف من غير جناية، لأفعلن بهم ولأفعلن. فقال له سوار: يا أمير المؤمنين! إن لأهل البصرة سلاحاً لا تطيقه. قال: أبسلاحهم تخوفني لا أم لك يا أمير المؤمنين: إنه دعاء بالأسحار [٢].

إنا بعثناك قاضيا لا ساعيا

وكتب سوار بن عبد الله القاضي إليه أن عندنا رجلا شديد الترفض يدعى السيد الحميري، فوقع في كتابه: إنا بعثناك قاضيا لا ساعيا [٣].

هب أنك مكره على القضاء هل أكرهت على أخذ الأجرة؟

شهد معلم عند سوّار فقال: لا أجيز شهادتك. قال: ولمَ؟ قال: لأنك

(١) أخبار القضاة، ٢ /٨٧.
(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ٦٨، ٢٣٣.
(٣) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، خاص الخاص، تحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة - بيروت / لبنان -، ١ / ٨٨.

تأخذ على كتاب الله تعالى الأجرة، فقال: وأنت تأخذها على القضاء، فقال: أنا أكرهت! فقال: هب أنك مكره على القضاء هل أكرهت على أخذ الأجرة؟ فأجاز شهادته [1].

إنما جئتُ شاهداً لا مُزكِّياً

شهد سوَّارُ بن عبد الله العَنبري عند بلال بشهادة، وشهدَ معه رجلٌ أخرُ ليس بذاكٍ. فقال بلالٌ: يا سوَّارُ، ما تقولُ في هذا الرجل؟ قال: إنما جئتُ شاهداً لا مُزكِّياً.

إنك جديرٌ بالبُكاءِ، حقيقٌ بطُول الحُزن ما أقمت في الدنيا

ودخل سوَّارُ بن عبد الله علي المنصور - والمصحفُ من حجره، وعيناهُ تهملان - فقال السلام عليكم. يا أمير المؤمنين فقال يا سوَّارُ، ألاَ مرةً على المؤمنين؟؟ هدمتَ ديني، وذهبت بآخرتي، وأفسدت ما كان من صالح عملي. قال سَّوارُ: فانتهزتُها فُرصةً، وطلبتُ ثواب الله في عظته فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك جديرٌ بالبُكاءِ، حقيقٌ بطُول الحُزن ما أقمت في الدنيا. وقد استرعاك اللهُ أمر المسلمين، واستحفظك أموالهم، يسألك عما عملت فيما أسترعاك في اليوم الذي أعلمت في كتابه، فقال:{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ} [الزلزلة: ٦ - ٨]. فازداد بُكاءً، وقال:{يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا } [مريم: ٢٣]. ثم قال يا سوَّارُ إني أُعالج نفسي، وأُعاتبها منذ وليتُ أمور المسلمين على حمل الدِّرّة على عُنقي، والمشي في الأسواق على قدمي، وأن أسدَّ بالجريش من الطعام جوْعتي، وأوارىَ بأَخشن الثِّياب عورتي، وأضعَ قدر من أراد الدُّنيا،

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٩٢.

وأرفع قدْر من أراد الآخرة، وسعى لها، فلم تُطْعني، وعصتْني، ونفرتْ نُفوراً شديداً [١].

لأنّي بحظّي أوثق مني بعقلي

تقدّم إلى سوّار بن عبد الله ثلاثة إخوة في قسمة ميراثٍ فقال: اجعلوا لأكبركم خير المواضع، فال أحدهم: لا أفعل حتى تقرع بيننا، قال: ويحك لم؟ قال: لأنّي بحظّي أوثق مني بعقلي، فأقرع فخرج خيرها له [٢].

ملئت الأرض بك عدلاً

كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله القاضي في مال كان له على سلمة بن سعيد، لما مات سلمة، وكان عليه ديون للناس وللمنصور، فكتب إليه: استوف لأمير المؤمنين دينه، وفرق ما يبقى بين الغرماء. فلم يلتفت إلى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لواحد من الغرماء، ثم كتب إليه: إني رأيت أمير المؤمنين غريماً من الغرماء. فكتب إليه المنصور: ملئت الأرض بك عدلاً.

الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به

قال سوار بن عبد الله القاضي: دخلت بعض حمامات البصرة، فقلت لصاحب الحمام فيه أحد؟ قال لا، إلا شيخ موسوس. فدخلت فإذا شيخ فقلت يا شيخ! ما حرفتك! قال أنا أبيع الكعاب والدوامات من الصبيان فقلت في نفسي مع من وقعت. فقال لي الشيخ فما حرفتك؟ قلت لا أُخبرك قال والله ما أنصفتني سألتني عن حرفتي فأخبرتك،

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، ٥ /٩٩، ١٠٤.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١ / ٣٩٢.

وسألتك عن حرفتك فلم تخبرني. فقلت أنا أنظر فيما بين الناس، وأمنع الظالم من المظلوم. قال الشيخ: ويقبلون منك، قلت من لم يقبل حبسته وأدبته، قال ومنك ذلك قلت نعم إن معي أعواناً من السلطان. قال الشيخ: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به. قال سوار فتصاغرت إلي نفسي [1].

أفجائز العدالة هو؟

تقدم رجل إلى سوّار بن عبد الله يدّعي داراً، وامرأةٌ تدافعه وتقول لسوّار: إنها والله داري وليس معي دليل. فأتى المدعي بشاهدين يعرفهما سوّار، فشهدا له بالدار، وجعلت المرأة تنكر إنكاراً يعضده التصديق، ثم قالت: سل عن الشهود، فإن الناس يتغيرون، فردّ المسألة، فأثني الناس على الشاهدان. فلم يزل يريّث أمولاهم، ويسأل الجيران، فكلّ يصدّق المرأة، والشاهدان قد ثبتا، فشكا ذلك إلى عبيد الله. فقال له أخوه عبيد الله: أنا أحضر مجلس الحكم معك فآتيك بالجليّة إن شاء الله تعالى، فقال للشاهدين: ليس للقاضي أن يسألكما كيف شهدتما، ولكن أنا أسألكما. قال: فقالا: أراد هذا أن يحجّ فأدارنا على حدود الدار من خارج، وقال: هذه داري، فإن حدث بي حادث فلتبع ولتقسم على سبيل كذا، قال: أفعندكما غير هذه الشهادة؟ قالا: لا، فقال: الله أكبر!وكذا ولو أدرتكما دار على سوّار، وقلت لكما مثل هذه المقالة، أكنتما تشهدان بها لي؟ ففهما أنهما قد اغترّا، فكان سوّار إذا سأل عن عدالة الشاهد يتبع المسألة أن يقول: أفجائز العدالة هو؟ فظننت أن عبيد الله رأى في الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه [1].

(١) ابن حبيب، عقلاء المجانين، ص ٤٩.
(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢ /٣٧.

وعن أبي علي النميري قال تراءينا هلال شوال فاتينا سوار بن عبد الله لنشهد عنده فقال حاجبه أنتم مجانين الامير لم يختضب بعد ولم يتهيأ ولئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين انطلقوا فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر.

لو شهد عندي الذي يغني بها لجزت شهادته

قال الجرمي: دخلتُ حماماً في درب الثلج، فإذا فيه سوار بن عبد الله القاضي في البيت الداخل قد استلقى وعليه المئزر، فجلست بقربه فساكتني ساعة ثم قال: قد أحشمتني يا رجل، فإما أن تخرج أو أخرج فقلت: جئت أسألك عن مسألة، فقال: ليس هذا موضع المسائل، فقلت: إنها من مسائل الحمام، فضحك وقال: هاتها، فقلت: من الفتى الذي يقول:

سلبتِ عظامي لحمها فتركتها ::: عَواريَ مما نالها تتكسرُ
وأخليتها من مخها فتركتها ::: قوارير في أجوافها الريح تصفرُ
إذا سمعتْ ذكرَ الفراق تراعدت ::: مفاصلها خوفاً لما تتنظرُ
خذي يدي ثم اكشفي الثوب فانظري ::: بلى جسدي لكنني أتستر

فقال سوار: أنا والله قلتها. قلت: فإنه يغني بها ويجود، فقال: لو شهد عندي الذي يغني بها لجزت شهادته.

إذ افتتح القضاء بأعورين

وولى يحيى بن أكثم إسماعيل بن سماعة القضاء بغربي بغداد، وولى سوار بن عبد الله شرقيها، وكانا أعورين، فكتب فيه محمد بن راشد الكاتب:

رأيت من العجائب قاضيين ::: هما احدوثة في الخافقين
هما فال الزمان بهلك يحيى ::: إذ افتتح القضاء بأعورين

فلو جمع العمى يوماً بأفقٍ ::: لكانا للزمانة خلتين
تحسب منهما من هز رأساً ::: لينظر بزاله من فرد عين [1]

مالك أيتم الله أولادك وأبتلاهم بحاكم مثلك

قال أحمد بن الحسين حدثني من شهد مجلس سوار بن عبد الله القاضي وقد أتته امرأة فقالت تعدني في النهار أن تقطع أمري وتنفذ القضاء فاذا جاء الليل اشتمل عليك فلان وفلان فعددت رجالاً من أصحاب سوار كانوا يغلبون عليه فلفتوك عن أمرك وغلبوك على حكمك مالك أيتم الله أولادك وأبتلاهم بحاكم مثلك قال فما رد عليها جواباً ولا قال لها شيئاً [2].

ومن شعره – رحمه الله –:

قال أحمد بن المعذل الفقيه: كان سوار بن عبد الله قد خامر قلبه وجد فقال: سلبت عظامي مخها فتركتها ::: عواري في أجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فكأنها ::: قوارير في أجوافها الريح تصفر
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب وانظري ::: بلى جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجري من العين ماؤها ::: ولكنها روحي تذاب فتقطر [3]

- كتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر:

لنا حاجةٌ والعذر فيها مقدَّمٌ ::: خفيفٌ معنَّاها مضاعفة الأجر
فإن تقصنها فالحمد لله ربِّنا ::: وإن تكن الأخرى ففي أوسع العذر
على أنَّه الرَّحمن معطٍ ومانعٌ ::: وللرِّزق أسبابٌ إلى قدرٍ تجري

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر:

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ٤١، ١٢٢.
(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٨٠.
(٣) تاريخ بغداد " ٩ / ٢١٠، ٢١١.

فسلها تجـــدني موجبـــاً لقضـــائها ::: سريعاً إليهـــا لا يخـــالطني فكـــر
شكورٌ بإفضـــالي عليـــك بمثلـــها ::: وإن لم تكن فيمـــا حوتـــه شـــكر
فهذا قليـــلٌ لّلـــذي قـــد رأيتـــه ::: لحقّك لا منٌّ من لديّ ولا فخر[1]

* * *

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ٦٨، ٢٣٣.

obeikandl.com